International Journal of Academic Multidisciplinary Research (IJAMR)
ISSN: 2643-9670
Vol. 6 Issue 10, October - 2022, Pages: 289-303

The Impact of the Spoils on the Revolution in the Period from 1881AD-1898AD

Dr.Emad Eldin AbdElsslom Osman

Abstract: *This paper aimed to find out the effect of spoils on the Mahdist revolution. The researcher used the historical documentary and analytical method. The study reached several results, including imam Mahdis interpretation of the spoils, considering that everyone who disbelieves in the Mahdist has a booty. The study recommended several recommendations, including studying the effects of intermal wars on the Mahdist revoluting.*

أثر الغنائم على الثورة المهدية في الفترة من 1881م الى 1898م

مستخلص

د_ عماد الدين عبد السلام عثمان الحاج- جامعة سنار- كلية الاداب_ قسم التاريخ

هدفت هذه الورقة لمعرفة أثر الغنائم على الثورة المهدية, استخدم الباحث المنهج التاريخي الوثائقي التحليلي, وتوصلت الدراسة لعدة نتائج منها تفسير الامام المهدي للغنائم باعتبار أن كل من يكفر بالمهدية فماله غنيمة, واوصت الدراسة بعدة توصيات منها دراسة أثار الحروب الداخلية على الثورة المهدية.

أسباب اختيار الدراسة:_

كانت للغنائم اثر كبير على الثورة المهدية ومع ذلك لم تجد كبير عناية في كتابات المؤرخين السودانيين, ثم أن استعمال الخليفة عبد الله لأسلوب التغنيم الذي كان في عهد الإمام المهدي عبارة عن غرامة مالية تفرض على بعض الجنايات وتحويلها إلى عقوبة جماعية ضد القبائل والأفراد المناهضين للثورة.

فروض الدراسة:_

1_ كانت الغنائم من مصادر الدخل بالنسبة للثورة المهدية.

2_ أدى الغلول في الغنائم إلى هروب كثير من الخدمة العسكرية.

3_ كانت الغنائم والتغنيم من أكبر أسباب فشل الثورة المهدية.

أسئلة الدراسة:_

1_ هل كانت الغنائم من مصادر الدخل بالنسبة للثورة المهدية؟

2_ هل كانت الغنائم والتغنيم سبب في نجاح أو فشل الثورة المهدية؟

3_ هل كانت الغنائم سبب في انضمام الكثير للثورة المهدية؟

4_ ما أسباب الغلول في الغنائم مع أنها ثورة دينية؟

أهداف الدراسة:_

1_ توضيح دور الغنائم والتغنيم على الثورة المهدية.

2_ بيان أسباب الغلول في الغنائم مع أن الثورة دينية.

3_ إظهار دور المهدي في جمع الغنائم وتحذير الأنصار من الغلول.

4_توضيح دور الخليفة عبد الله في جمع الغنائم.

5_ بيان دور الخليفة عبد الله في تفسير التغنيم.

منهج الدراسة:_

اتبع الباحث المنهج التاريخي الوثائقي التحليلي.

أهمية الدراسة:_

تنبع أهمية الدراسة في توضيح دور الغنائم والتغنيم وما لعبته من دور كبير في الثورة المهدية.

أثر الغنائم والتغنيم على الثورة المهدية

في الفترة من 1881م- 1898م

مفهوم الغنيمة في المهدية وأثره على الثورة:_

التعريف العام للغنيمة في الإسلام هي ما يتم الحصول عليه من الكفار بعد هزيمتهم هزيمة بينة, وهي بهذا تقتضي وجود كافر جاحد للإسلام, غير أن المهدية فسرت هذا المفهوم وفق معتقداتها فالكافر في عرفها هو الذي يكفر المهدية أو يشك فيها سواء دخل في حرب معها أو لا, والمهدي يعتمد أساسا على التلقي عن الرسول صلى الله عليه وسلم وهو أمر يؤمن به الجميع في التكاليف الفردية غير أن ورود ثوابت في شأن العقيدة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم يعتبر امراً لم يسبق له مثيل في تاريخ الدولة الإسلامية[1] ويقول: المهدي(..... هذا وقد اخبرني سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بان من شك في مهديتك فقد كفر بالله ورسوله وكررها صلى الله عليه وسلم ثلاثة مرات)[2] إذا فالغنيمة في المهدية أصبحت تعني الحصول على أموال المسلم بمجرد الشك في مهدية محمد احمد, والمهدية أمر غيبي يرى المهدي أن الإيمان به واجب إذ يقول(..... فبعد هذا البيان فالمؤمن يؤمن ويصدق, لان المؤمنون هم الذين يؤمنون بالغيب, ولا ينظرون لإخبار أخر, فمن انتظر بعد ذلك استوجب العقوبة.[3]

[1] عبد الغفار محمد علي, أثر العوامل السياسية والاقتصادية في سقوط الدولة المهدية في الفترة من 1881م- 1898م, الدار العالمية للنشر والتوزيع مصر, ط1 2017م.
[2] منشورات المهدية جا ص11- ص14
[3] المرجع السابق ص

اهتم المهدي بموضوع الزكاة والغنيمة لأنهما يكونان الدخل الرئيسي للدولة التي ينوي إقامتها ويكونان المحور الذي ارتكزت عليه الإدارة في تلك الدولة وحرص المهدي على تطبيق الشريعة الإسلامية في هذا الصدد, لذلك نجده يأمر بجمع الزكاة حسب قوانين الشريعة الإسلامية ووضعها في بيت المال, كما كتب منشورا إلى محمد خليل عامله على الحمدة حدد فيه الزكاة الواجبة على المواشي والحبوب والذهب والفضة, كما طلب من عامله هذا أن يتصل ببقية العمال في الجيرة وغيرها من المراكز لتعميم هذه الآراء, وعين إبراهيم عدلان مندوبا عن بيت المال من أم درمان وأرسله إلى عماله في منطقة القضارف القلابات بغرض خدمة الذكوات وإرسالها إلى العاصمة, كذلك انشغل المهدي بموضوع الغنيمة وطريقة جمعها وصرفها فقد أمر بان تترك الغنيمة للمجاهدين الذين لا حرفة لهم إلا الجهاد, وان يؤخذ الخمس من الذين لهم حرفة يعودون إليها بعد انتهاء الجهاد, ولكن مشكلة الغنائم لم تكن سهلة فهي من القضايا التي شغلت الدولة المهدية وبرزت إلى السطح منذ الأشهر الأولى, فمنذ أيام المهدي الأولى في قدير وهو يحذر أصحابة من كثرة الاهتمام بالغنيمة لأنها عرض زائل ومتاع الدنيا الفانية, واستمر المهدي يرسل تحذيراته هذه باستمرار حتى وفاته وربما راعه تكالب أنصاره على الغنائم واهتمامهم الشديد بها وهو الذي بني دعوته على أساس روحي بحت وانطلق بها من مواقع الصوفية والزهد, حقا لقد جمعت المهدية غنائم طائلة من انتصاراتها العديدة كانت مصدر إغراء للأفراد بل إن البعض منهم انضم إلى المهدي لم يكن(بجذب من نوره الساطع) أو لاقتناع يقيني بدعوته بقدر ما كان جريا وراء الأسلاب التي عادة ما تأتي بها الحروب, وجريا وراء الفرص المعيشية الجديدة التي قد يخلقها العهد الجديد, وكان المهدي يري في نمو هذا التيار الدنيوي البحت ما يهدد قلب الدعوة ويصرفها عن تحقيق أهدافها ومراميها التي خطط لها, لذلك نجده ينهي عن عرض الدنيا الزائل وقيمتها التي لا تساوي(جناح بعوضة) فأمر المهدي بالتشديد على الأنصار الذين يجرون وراء الغنيمة وطلب ضبطهم وزجرهم واخذ غنيمتهم وإحالتها إلى بيت المال وهكذا نجد أن مشكلة الغنائم قد برزت إلى سطح الحياة في الدولة المهدية وهي لم يمض على تثبيت أقدامها سوى بضعة أشهر,[4] وكانت الغنائم تتكون من الأسلحة والذخائر والرقيق والأنعام والبضائع وسبائك الذهب والفضة والحلي والمجوهرات والنقد, ونجد أن المهدي قد واجهة بعض القضايا العملية في مجتمع قدير أولها توافد الناس عليه وانخراطهم في صفوف أنصاره, وتكون من تلك الجموع جيشا من المقاتلين الذين ليست لهم حرفة إلا القتال وكان المهدي قد ناشدهم بترك أعمالهم والهجرة إليه, فكيف كانوا يحصلون على معاشهم؟ كانت الغنائم والزراعة هما المصدران الأساسيان للدخل في مجتمع قدير ومنهما صاغ المهدي منهجه للمجتمع الذي يقوم على ما يسمى" شيوعية الحرب" وغدت من شكل العلاقة السائدة وكانت قد وقعت في يد المهدي وأنصاره غنائم من واقعة أبا, وغنائم أوفر من واقعتي راشد والشلالي, وتقسم الغنائم كما هو منصوص عليه إذ يأخذ المجاهدون أربعة أخماس ولكن المهدي وجه أنصاره بان الذين يستطيعون الصرف على أنفسهم يسلموا غنيمتهم لبيت المال ليقوم بدوره بتوزيعها على المجاهدين المحتاجين الذين انقطعوا للقتال أو تعطى لمن ليست له غنيمة, وبرزت الحاجة لتكوين بيت المال بدا في شكل مبسط مجرد جهة يجمع فيها الأنصار غنائم الحرب, وتوزع عليهم حسب احتياجاتهم من الطعام الذي كانوا يعانون شحا فيه, فكانت الغائم تجمع في بيت المال ثم توزع على الأنصار كل حسب حاجته, أما الذين يستطيعون الزراعة فلا يطلبون عطاء من بيت المال, وتتطلب هذه الإجراءات درجة عالية من نكران الذات, وكان المهدي مدركا لخطورة الغنائم, وما يمكن أن تسببه من صراعات وانحرافات ولعله ارتاع للتناقض بين

[4] المهدية والحبشة ص37

روح الزهد التي كان يتوقع أن يتحلى بها أنصاره وبين النزوع إلى الحيازة والتملك فما فتئ يحذر أصحابه من الغلول في الغنائم وعدم إخفائها لان إخفائها كالسرقة وأوصاهم بان من يستطيع الاعتماد على نفسه فليفعل حتى يكون بيت المال خالص للمقاتلين المتفرغين للجهاد[5] وكان يفسر لهم القران وعندما لم يكف الأنصار عن الغلول صاح فيهم" من يأخذ من غنائم بيت المال سيجازى على ذلك بالسجن أو الضرب وقد هتك شرفه إن كان له شرف, واهم مسالة كانت تواجه المهدي بعد أية موقعة أو استسلام هي الغنائم وجمعها حتى توزع بالوجه الشرعي, وهو في هذا لا يرغب في الاستيلاء عليها لنفسه ولكن لبيت مال المسلمين لتجهيز الغزوات المقبلة وتقوية جهازه الحربي بالأسلحة والذخيرة والمعدات الأخرى التي تقع في أيديهم, وفوق هذا يريد لأنصاره أن لا يقعوا في اسم الفرار بالغنيمة وما يعقبه من عذاب في الآخرة وكان دائما يصدر منشوراته عقب كل موقعه محذرا أصحابه موردا لهم الآيات والأحاديث والمثل من الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة(..... واحرصوا على حفظ دينكم ولا تبدلوا الخبيث منها بالطيب الأخروي فينتقض عهدكم مع الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ومعي فإنكم قد أعطيتموني عهودكم ومواثيقكم على السمع والطاعة لأمري وعدم عصياني فيما هو معروف واني لا أرضى لواحد منكم أن يغل في شيء من الغنائم ولو خيطا أو إبرة ومن باب أولى فما فوق ذلك فإذا بلغكم جوابي هذا فعزيمة مني إليكم أن يتجرد كل واحد مما عنده من الغنائم وينصح فيها لله ورسوله صلى الله عليه وسلم وان يحضرها بمحل لزومها لأجل إخراج الخمس منها وتقسيم الباقي عليكم حكم أمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ولا يكتم احد منكم غالا سواء كان من جماعته أو لا, ويكون إحضار الغنائم المذكور على وجه الفور.....),[6] وعندما علم المهدي إن بعض الأنصار خباؤا الغنيمة لأنفسهم اصدر منشورا أخر بعد أربعة أيام من منشوره الأول العام(..... قد كررنا عليكم التذكير بشؤم الدنيا والغنائم خرجت لكم منشورات في ذلك وليس رزق السعيد في تخبئة الغنيمة بل إنما الانتفاع بالمخبأ من الغنيمة إنما هو للأشقياء وليكن المعلوم عندكم إن من خبأ شيئا من الغنائم ولو قليلا فليس من أصحابنا إنما هو من أصحاب إبليس والدجال والسلام)[7] وذكر في منشور أخر(..... وقد بايعتموني على أن لا تشركوا بالله شيئا وان لا تسرقوا ومن أعظم السرقة إخفاء الغنائم, وقد ورد فيها من التشديد ما لا يخفاكم وهي سبب الخذلان وظفر الأعداء, ولا يقع فيها إلا عدو لنا وعدو لدين الله وعدو لنفسه, ولو لا عناية الله بنا لأخذنا أهل العداوة الذين يطلبون الدنيا في صحبتنا, فأن كنتم موفون ببيعتكم على اختيار الآخرة وزهد الدنيا فلا تتناولوا حبة من المال, ولو وجدتم الذهب والفضة ملء الأرض وانتم جائعون وعارون لان هذا هو اختيار الآخرة وزهد الدنيا..)[8] وفي منشور أخر بتاريخ 7 ديسمبر 1883م إلى الفارين بالغنائم يوضح فيه مغبة الفرار بالغنائم(..... قد بلغني عنكم أنكم فررتم من نصرة الدين وهربتم بالغنيمة التي هي نار الله الموقدة وإنما بسطت لكم هذا كله لأجل ما بلغني عنكم أنكم آثرتم الحياة الدنيا على الآخرة وأحببتم جمع الأموال والغنائم وشردتم بها وعصيتم أمر الخلفاء والأمراء أهل الرايات وإنما هربتم بالجمر والفقر وعذاب القبر والحيات والعقارب وأبدلتم الحسنات بالسيئات, فاحذروا أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا..... واخبرني النبي صلى الله عليه وسلم إن من يأخذ شيئا من الغنيمة فانه يقتل وانه حيثما كان يراه صلى الله

[5] تاريخ السودان الحديث ص185
[6] مكي شبيكة, السودان والثورة المهدية ص122
[7] مكي شبيكة مرجع سابق ص124
[8] منشورات المهدية ص31

عليه وسلم فيقتله) 8 سبتمبر 1882م[9] وفي منشور إلى محمد الخير عبد الله خوجلي(..... وأنت حبيبي لهمتك بالنجاة عند الله تعالى على التسليم لي والعزم علي وإتباع ما ألهمني الله كنت سألتني عن الغنائم وطريق العمل فيها وقد أعلمتك بما هو جاري فيها سابقا لأمور منها الظن, إن ما ورد لنا في المديريات الغربيات خصوصية حتى سألني أمين بيت المال عن غنائم بربر فلم تظهر لي الخصوصية عند تكرار سؤاله, وقد ورد لنا من الغيب ضرر ذلك كثيرا ولابد أن يصلكم منها شيئا, ولما كان الأخوان الذين معك نريد لهم الصفا والسلامة والدخول في عظيم الكرامة والتباعد عن عطب دار الملامة, أجزيت أمين بيت المال بما وصلكم عنه فانه وان كان منكم من تناول من الغنائم_ على ما ذكرته لك سابقا فقد تجدد الوارد من الغيب كبير الضرر في تناول ذلك, ونريد ألان أن يقتدوا الأخوان بما ورد لنا من سيد الوجود صلى الله عليه وسلم على ما رأيناه انه صلاحا للمسلمين وإصلاحا للدين بما اللهمني الله من الإلهام الصائب الذي لو كان بيننا محمد صلى الله عليه وسلم حاضرا ألان لفعله.....)[10] وفي منشور أخر (..... لما أتينا بالأبيض وفاجأت الأصحاب كثرة الدنيا فيه وجمعوا منها بعضهم لجهلهم بضرر ذلك وردت لنا أخبار عن الغيب بشؤم ذلك فجمعنا الأخوان وذاكرنا هم ووعظناهم وارياهم ضرر ذلك, فنابوا ورجعوا عن ذلك وأوردوا بيت المال كثيرا من الأموال والرقيق والمصاغات التي كانوا غافلين عن ضررها, فتجردوا من ذلك, وقد أردنا ياحبيبي أن يكون ما حصل لأصحابنا الذين معنا يحصل لأصحابنا الذين معكم ليتخلصوا مما يعوقهم وينقصهم ويهلكهم, ولازم التذكير الشافي لهم لكون الدنيا سحارة وتأخذ بقلوب العلماء فتهلكهم فضلا عن الجهلاء.....[11] فانظروا أحبابي في ذلك وخلصوا أخوانكم الذين وقعوا في مثل ذلك ليردوا جميع ما عندهم في بيت المال ولا يتركوا من الغنائم عندهم شيء, فان وراءنا عقبات ولا تترك الغنائم من عنده شيئا منها أن يتجاوزها بل يهلك فيها.....)[12] وفي منشور أخر بتاريخ 22 نوفمبر 1884م(..... وانه حبيبي بعد هذه المواعظ والتذكار وبيان الخيرات والأشرار وبيان طريق السلامة وقرب يوم القيامة فمن لم يتعظ ويهتد ويتجرد ويصفى من الغنائم والأموال من الأمراء فليصير عزله وإرساله إلينا للتربية مع تجريده جبرا عما يضره فان الجاهل عدو نفسه, فانه لما حصل التذكير للأصحاب عندنا في غنائم الأبيض فقد أوعدنا بان من لم يتجرد من الغنائم ويصفى عن عطب الدنيا ويرغب فيما عند الله ويتوكل على الله وحده لا تصير له إمارة لكون أمارتنا للإرشاد إلى ما عند الله والخروج من دار الملاهي وإذا كان الراعي هالك وميت فكيف السلامة للإتباع, فلا تولي ميتا لا يصلح نفسه والسلام)[13] وكتب الأمام المهدي منشورا عن الغنائم وخطرها على المسلمين وقد جمع فيه الأخبار والنصوص(..... سأذكر بعضا من الواقعات التي وردت في الغنائم وغيرها باختصار, فبعد أن وردت الواردات في كيفية الغنائم وضرها بالأبيض حكيت للإخوان حضرة حصلت فوق السموات وكان النبي صلى الله عليه وسلم يطلب الأصحاب فلا يصل إلى ذلك المحل إلا الأصفياء الزهاد الخالصين من العلاقات الدنيوية وتعطل منها بعض الأخوان لأجل علاقاتهم الدنيوية فلم يطيقوا الصعود إليها من علاقاتهم فأعلمت بذلك من انقطع بسبب علاقاته الدنيوية من الرقيق والأموال فتجرد لله من ذلك وصعدوا إلى الحضرة المذكورة..... ثم حصلت أيضا شجرة الصداقة في وقت أخر وطلب الأصحاب بالصعود لنيل الخيرات فوقها فصعدها الأصحاب إلا الذين

[9] المرجع السابق ص42
[10] المرجع نفسه ص240
[11] منشورات المهدية ص243
[12] المرجع السابق ص244
[13] المرجع السابق ص246

أكلوا الغنائم فأمتلات عليهم صمغا, فكلما أرادوا أن يتعلقوا بها ليصعدوا فوقها يذلقهم الصمغ الذي عليها, وبعض الأخوان الذين عندهم ولم يحضر المذاكرات حصلت له رؤية وكان المذكور قبل رؤياه متأسفا على فوات مذاكرتنا للإخوان في كيفية الغنائم والتجرد عنها لمن هي عنده من الأنصار قال: ولما أعلمني من حضر المذاكرة عزمت على إخراج ما عندي من الغنيمة وهو امة وحماره وقليل من الدراهم قال: وبعد عزمي بإخراجها ودفعها إلى بيت المال اخبره بعض أخوانه بأنك كيف تخرج هذه الأمة التي لا خادم لك غيرها ومن يخدمك إن أخرجتها وأي شيئا تركب إن أخرجت هذه ألحماره الواحدة وان قام الإمام للسفر لابد أن تشتري بالجميع جملا تسافر عليه مع المهدي للجهاد قال: فطاوعت من ذاكرني من الأخوان بذلك وعزمت على ترك إخراج المذكورات لبيت المال, قال: فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم أتى للخليفة عبد الله يذاكره فقال: المذكور في نفسه لما فأتتني مذاكرة المهدي, فليكن الإسراع مني لحضور مذاكرة النبي صلى الله عليه وسلم للخليفة عبد الله, قال: فلما حضرت وجدت المذاكرة قد تمت إلا أني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول للخليفة عبد الله عند فراقه له لا شيء لم تستوعب أمر المهدي, فالذي يأمر به المهدي كله افعله هذا معنى كلامه للخليفة عبد الله قال: ثم أتيت للخليفة عبد الله لا سمع منه مذاكرة النبي صلى الله عليه وسلم فوجدت مع الخليفة بعض من الملازمية يصلون معه فقطع الصلاة وقال: لي أين الخادم أي الأمة من الغنيمة؟ فعدم إتيانك بها لبيت المال افسد علينا صلاتنا قال: وقال: لي الخليفة عبد الله لا شيء لم تتجرد من الغنائم قال: فقلت: له ما عندي إلا شيء يسير فقال: هذا القليل اده لبيت المال ولو قرشا واحدا, ومثل هذا كثير, وبعض من الذين لم يتجردوا من الغنائم تحضر لهم تماسيح تمنعهم من لحوق المهدي وأصحابه الصادقين فتغرقه حتى كان احد الأخوان عنده أزرار من الغنيمة فقبضه تمساح وأوقعه في المهالك فاستغاث بالله ورسوله والمهدي فأدركه المهدي فحمله ليخرجه فاخذ به حجرا لم يترك يسلم حتى اقسم انه يعطي ثمن الأزرار فخلص, ثم أن المذكور قوم الأزرار بنحو ستة دراهم أو اقل فدفعه لبيت المال فصار من الأصحاب..... وروي أن بعض الأصحاب الذين أكلوا الغنائم وتمتعوا وماتوا قبل إخراجها والحال انه أراد إخراجها فمات قبل إخراجها انه حبس وعذب ووبخ عليه وقيل له إن المهدي أنذرك فبعد إنذاره أتريد أن تجمع لك متاع الدنيا مع نعيم الآخرة؟ ذق العذاب الأليم فلا عزر لك, وغير ذلك وفيما ذكرته كفاية لمن له عناية)[14] وفي منشور إلى محمد خالد زقل بتاريخ أول مارس 1884م في كيفية الغنائم (..... بخصوص غنيمة الفاشر اجروا تخميسها على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة أسهم للجيش والخامس لبيت المال ماعدا الأسلحة النارية من البنادق والمدافع والصواريخ والجباخين والخيل والبغال والجهادية وحريمهم وجميع ما يكون مماثل لهذه الخصوص فلا يجري فيه تقسيم ولا تخميس فانه لبيت المال خاصة كما ورد الخبر النبوي بذلك..... هذا وحزروا جميع الأتباع والأهالي من الغنائم وأمدوهم بالأذكار .....)[15] وفي منشور للإمام المهدي يمنع فيه الغلول ويحذر منه وهو يطلب من أتباعه تسليم غنائم واقعة هيكس(..... من علامات حب الدنيا الغلول في الغنائم وهو من اكبر المصائب وأعظم فتنة للعبد مع ربه لما ورد فيه من الوعيد كتابا وسنة قال تعالى:" ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة"وكفى به زاجرا قال: صلى الله عليه وسلم (وأما عذاب الذين يغلون فيؤتى بغلولهم يلقى في بحر جهنم ثم يقال لهم غوصوا حتى تخرجوا غلولكم وان غلولهم ينتهي إلى قعره ولا يعلم قعره إلا الله الذي خلقه فيغوصون ما شاء الله ثم يخرجون ليتنفسوا فيبتدر إلى كل إنسان منهم

[14] منشورات المهدية ص247- 250
[15] المرجع السابق ص252

سبعون ألف ملك مع كل منهم مقمعة من حديد فيهوي بها على رأسه فذلك عذابهما أبدا ولشدة هذا الوعيد حزر منها صلى الله عليه وسلم رحمة وشفقة على أمته المؤمنين وإرشادا لهم بقوله" أدوا الخيط والمخيط" يعني الابره والنعل يتخذه الرجل من جلود البقر والجراب من الاهاب قال: صلى الله عليه وسلم" من كتم غالا فانه مثله" وإذا كان الأمر كذلك فيا أحبابي انتبهوا واحذروا الدنيا واتعظوا بما شاهتموه من هلاك أربابها واحرصوا على حفظ دينكم ولا تبدلوا الخبيث منها بالطيب الأخروي فينتقض عهدكم مع الله ومعي, فأنكم قد أعطيتموني عهودكم ومواثيقكم على السمع والطاعة لأمري وعدم عصياني فيما هو معروف واني لا أرضى لواحد منكم أن يغل في شيء من الغنائم ولو خيطا أو ابره ومن باب أولى فما فوق ذلك فإذا بلغكم جوابي هذا فعزيمة مني إليكم أن يتجرد كل واحد مما عنده من الغنائم وينصح فيها لله ورسوله ولنا ويحضرها لنا بمحل لزومها لأجل إخراج الخمس منها وتقسيم الباقي عليكم, حكم أمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ولا يكتم احد منكم غالا سواء كان من جماعته أولا, ويكون إحضار الغنائم المذكورة على وجه الفور بجهة البركة, كوننا ألان في محل عطش ولا يمكننا الإقامة فيه أكثر مما مضى, فمن سمع وإطاعة الأمر فهو الفائز من الله بالأجر ومن لا فعليه الوزر ولن يعجز الله هاربا في الدنيا والآخرة ونحن نعلم أن هذه الجردة فيها أموال جسيمة وأمتعة ليس لها عدد وكلها وقعت بأيديكم فلازم من الاهتمام بجمعها وحضورها لأجل تقسيمها وعودها لكم بالوجه الحلال)[16] وفي منشور أخر بتاريخ 10 نوفمبر 1883م يوضح أن ألغال ليس من أصحاب(..... إن أمرنا هذا أيها المؤمنون إنما هو تبع لا بدع, وأنكم قد كررنا عليكم بشؤم الدنيا والغنائم وخرجت لكم منشورات في ذلك, وليس رزق السعيد في تخبية الغنيمة بل إنما الانتفاع بالمخبأ من الغنيمة إنما هو للأشقياء, وليكن المعلوم عندكم أن من خبأ شيئا من الغنائم ولو قليلا فليس من أصحابنا, إنما هو من أصحاب إبليس والدجال).[17] كان المكي ود إبراهيم احد مشائخ قبيلة حمر أول من استجاب لدعوة المهدي وهاجر إلى قدير ثم عاد موفدا من قبل المهدي, وأخذا يستنفرها وخرج بهم ضد جند الحكومة, فهرب البكباشي نظيم أفندي والجنود الذين يقومون بجمع الضرائب والتجئوا إلى مركز أبى حراز, وهناك انضم البديرية بقيادة شيخهم حامد ود ألسنجك إلى المكي وحاصروا المركز, فهرب نظيم وجنوده وسقط المركز في أيدي الأنصار, فكان أول مركز حكومي يسقط في أيديهم واثر سقوطه تأثيرا كبيرا على تفجير الثورة في كردفان فخرجت قبيلة الحوازمة والغديات وساروا إلى البركة وهاجموها وحققوا انتصارا عسكريا مبكرا إلا أن انشغال الأنصار بجمع الغنائم مكن جنود الحكومة من إعادة تنظيم أنفسهم وهزيمة الأنصار إلا أن جنود الحكومة لم يواصلوا انتصاراتهم بل انسحبوا وتحصنوا بالأبيض ويعود السبب في ذلك إلى ضعف روحهم القتالية رغم تفوقهم في الأسلحة النارية, والى إدراكهم أن الجو العام أصبح معاديا مما لا يسمح لهم بالبقاء في المراكز البعيد.[18] كما عين المهدي الحسين عبد الواحد وعبد الله الطريفي وود تاتاي والسماني احمد أمناء, وجعل الحسين مقدما عليهم وحدد مهمة هؤلاء في منشور بعث به إليهم بتاريخ 22 يوليو 1884م الموافق 29 شوال 1301 هجرية وحصر مهامهم في النظر في أحوال الناس وإجراء الأحكام بينهم على أن يترك التنفيذ لرؤساء الجهات, وقد جرى المهدي في هذا التعيين على غرار الأمناء الذين كونهم في أم درمان من عقلاء الناس وأوكل إليهم مهمة النظر في الخلافات التي تنشأ بين كبار الأنصار وإصدار الأحكام بصددها ويبدو أن مهمة هؤلاء الأمناء كانت مهمة

[16] منشورات المهدية مرجع سابق ص254-255
[17] المرجع السابق ص256
[18] تاريخ السودان الحديث ص190

استشارية غير محددة المعالم مما أدى إلى صراع بين الأمناء أنفسهم وبينهم وبين بقية العمال, وكان صراع الأمراء والعمال فيما بينهم من القضايا التي شغلت دولة المهدية, وقد بدأت تلك الخلافات حول قضايا شخصية مثل تقسيم الغنائم أو تضارب اختصاصات العمال ولكنها تطورت في السنوات اللاحقة إلى صراع كبير بين أولاد البلد وأولاد العرب مما شغل الدولة الفتية وفت في عضدها,[19] عندما حاصر المهدي الأبيض وتفاقم الأمر وتصاعدت أسعار الذرة إلى أرقام خيالية حتى انفرط عقد الأمن وأدى استسلام بارا إلى تدني الأوضاع فيها إلى درك سحيق وفي يناير 1883م استسلمت مدينة الأبيض ودخلها المهدي منتصرا وصلى في مسجدها ثم تبعته جحافل الأنصار الذين انطلقوا في المدينة التجارية العريقة باحثين عن الغنائم, وكانت حمى البحث عن الغنائم قد بدأت قبل سقوط الأبيض عندما كان الأنصار يعترضون طريق الهاربين منها للانضمام للمهدي ويأخذون الثمين من أموالهم وممتلكاتهم, مما اضطر المهدي لتعين قوة لزجرهم,[20] ثم بدا الجمع المنظم للغنائم فتكدس بها بيت المال, وبعد سقوط الأبيض أمر المهدي كل البدو الذين انضموا لجيشه بإحضار كل ما غنموه للأبيض وخصص خمس تلك الغنائم لنفسه, بينما ترك الباقي كدخل رسمي لبيت المال, وبعد عامين من سقوط الأبيض فتح المهدي الخرطوم وأمر تارة أخرى كل من غنم شيئا من المعارك السابقة أن يعيده لبيت المال, وحزر وانذر الأمراء والأنصار من مغبة إخفاء ما غنموه, وتوعدهم بعذاب اليم في الدنيا والآخرة, ورغم أن البعض ظل يخفي ما غنمه إلا أن بيت المال تكدس بالذهب والفضة والنقد واصدر المهدي منشورا للكافة أوضح فيه طريقة تقسيم الغنائم, مفرقا بين الجنود النظاميين والمتطوعين الذين لم يكن الجهاد هو مهنتهم الرئيسة,[21] في 26 /1883/11م أرسل خطاب إلى محمد خالد زقل وفيه وعظ عام بخسة الدنيا ونعيم الآخرة وتحذير من الغلول في الغنائم(..... ونخشى أن تسحر الدنيا بخيالاتها الضعيفة وزخارفها الفانية عندما ترون الغنائم ترجعوا عن حالكم الأول وتنهمكوا في شهواتكم وتميل أنفسكم إلى تشوف الفرس الجميل والسرية الجميلة ونحو ذلك من تطلبات النفس الأمارة, ثم يرونكم أخوانكم فيقتدون بكم فتقعون جميعا معهم في غضب الله تعالى ومقته وطرده والسلب بعد العطاء..... واعلم انه لا إجازة لكم في اخذ شيء من الغنائم لنفسكم دون إذننا.[22]

اصدر الخليفة عبد الله التعايشي في بداية حكمه منشورا إلى أهالي القضارف بخصوص الغنائم والأعمال الزراعية قال فيه: (ولما كان نزول الغيث المبارك فقد رأينا من باب الرفق بكم والشفقة عليكم والرأفة بحالكم أن نرفع عنكم الخدمات المتصلة بالغنائم وحقوق الله غير زكاة الفطر والمواشي وذلك في شهري شوال والقعدة لكي تنتبهوا في زراعة أطيانكم وإصلاح شأنها وقد نبهنا على كافة الأنصار والمندوبين وذلك لرفع أيديهم عنكم وتخلية سبيلكم في هذين الشهرين, ويظهر من هذا المنشور اتجاه الخليفة الواقعي حيال المشاكل المالية, لعل الخليفة كان يرمي من وراء تلك السياسة المرنة ألا تتأثر منطقة القضارف اقتصاديا وهي من الشرايين الهامة التي يعتمد عليها اقتصاد دولة المهدية ولذلك اثر أن يعطي الأهالي الفرصة لاستغلال موسم الأمطار حتى على حساب" الغنائم وحقوق الله",[23] التفت الخليفة للقضاء على عبد الله الطريفي بعد اعتقال ود زايد والاستيلاء على ثروته, ولعل ثروة ود زايد كانت من أسباب القضاء

[19] المهدية والحبشة ص35
[20] تاريخ السودان الحديث ص196
[21] المهدية باقلام غربية ص377
[22] محررات الخليفة عبد الله ص2
[23] المهدية والحبشة مرجع سابق ص44

عليه فطلب الخليفة إلى الطريفي أن يقسم أموال ود زايد إلى أخماس وان يرسل أربعة منها إلى عثمان دقنة والباقي إلى أم درمان ويبدو أن الطريفي لم يكن دقيقا في تصريف تلك المهمة المالية, فطلب منه الخليفة ألا يقوم بأي أعمال مالية أخرى خاصة أموال ود زايد وأرسل محمد عثمان حاج خالد ليتولى كل الأعمال المالية المتعلقة ببيت المال والغنائم وطلب من الطريفي أن يطيعه وان يقدم له أي مساعدة ممكنة, ويبدو أن مهمة حاج خالد هي أن يقوم بجرد عام لبيت المال ثم يبعد عنه الطريفي كليا, لكن الطريفي لم يقبل أن تسلب منه سلطات بيت المال وهي مصدر نفوذ كبير له, لذلك لم يتعاون مع حاج خالد ولم يقدم له المساعدة المطلوبة, فنشب بينهما خلاف من نوع تلك الخلافات التي يزخر بها تاريخ المهدية,[24] تبرز هذه الحادثة بعض الحقائق عن الأوضاع الداخلية في الدولة المهدية نشير منها إلى حقيقتين الأولى أن الغنائم وأموال بيت المال عموما كانت في كثير من الأحيان مصدر إغراء للعمال في الأماكن النائية, وان بعض أولئك العمال قد كون لنفسه منها ثروة شخصية, فهل يرجع تصرف أولئك العمال إلى بعدهم عن مراقبة السلطة المركزية, أم يرجع إلى عدم تعمق روح المهدية فيهم, ونظرتهم لها على أنها سلطة سرعان ما تزول, ولذلك قاموا بإثراء أنفسهم لمواجهة أي تحولات قد تطرأ في المستقبل؟ لعل ذلك راجع لكلا السببين, وقد شهدت منطقة القضارف عدة أمثلة من تلك المخالفات المالية لأنها كانت من أغنى مناطق الدولة المهدية, والحقيقة الثانية هي أن الخليفة كان يجد صعوبة في القضاء على العمال الخارجين عن سلطته في المناطق البعيدة خاصة إذا كانوا يتمتعون بنوع من الاستقلال الذاتي وهم وسط جهاديتهم وحاشيتهم وأقاربهم الذين يحيطون بهم ففي مثل هذه الأحوال كان الخليفة يلجأ أما إلى الحيلة بان يستدرج العامل إلى أم درمان أو يرسل له من يباغته ويعتقله ويجرده من مصادر قوته,.[25]

اعتنق الخليفة فكرة الجهاد كما حددها المهدي ونادي بها, والجهاد سواء كان على النطاق المحلي او الخارجي كان من الأفكار الأساسية في الدعوة المهدية, وقد راء الخليفة في استمرار دعوة الجهاد استمرارا لدعوة المهدية وقوة دافعة لها, لذلك تميزت سياسة الخليفة الخارجية باستمرار فكرة الجهاد والفتح ونشر الدعوة المهدية, فكانت حروب الخليفة مع الحبشة تعتمد هذا الأساس الفلسفي الهام, ولكن كانت لتلك الحروبات دوافع أخرى, أولها أن الخليفة كان يريد أن يشغل جيوشه, التي تكونت خلال الصراع ضد الحكم التركي_ المصري بالغزوات والحروبات والأعمال الحربية الأخرى فالخليفة لم يكن يريد أن تبقى تلك الجيوش في حالة هدوء مما يدفع بها للتعدي على الأهالي في المناطق المختلفة خصوصا المناطق الزراعية أو ربما تدفع حالة الاستقرار والتعطل بعض قواد تلك الجيوش للانفراد بالسلطة والاستئثار بها لأنفسهم, ثانيا: كانت الغنائم من الأسباب التي دفعت بعدد من القبائل للانضواء تحت راية المهدية, ولذلك فان استمرار الحروبات من اجل الغنيمة سيجعل تلك القبائل ستحتفظ بولائها للمهدية مستعدة للجهاد في البوغازات الهامة, فلم يكن في مقدور الخليفة أن يحتفظ بجيش كبير مثل جيش بوغاز القلابات, وان يقوم بمده بالغذاء والكساء فكان لابد لذلك الجيش من الغزو حتى يعيش نفسه, ثالثا: منطقة القلابات لها أهميتها الخاصة, لها أهمية تجارية فالاستيلاء عليها والدفاع عنها كان امرأ ضروريا إذ يعود بفوائد تجارية كما يضمن السيطرة على سير التجارة نفسها ولها أهمية إستراتيجية كذلك, فثغر القلابات ثغر حصين على الحدود الحبشية وحفظ السودان يقتضي بحفظه مسدودا,[26] لم يشهد عهد حمدان أبو عنجة

[24] المرجع السابق ص50
[25] المهدية والحبشة ص52
[26] المرجع السابق ص53

مشاكل مالية كثيرة لان الأنصار شغلوا بالحروبات مع الحبشة, ولكن الغنائم التي جمعت من تلك الحروبات ومن اللاحقة أدت إلى مشاكل مالية لعلها كانت أكثر وضوحا في العهود اللاحقة,[27] وفي معركة الحبشة الأخيرة كان أمر الغنائم مخيبا للآمال أما لان الحبش لم يحضروا معهم من ممتلكاتهم ما يستحق الذكر أو لان الزاكي طمع في الاحتفاظ بأغلبها لنفسه, ولعل هذه الحادثة كانت بداية لتسرب الشك إلى نفس الخليفة عن نوايا الزاكي, فقد كتب الزاكي للخليفة بان الحبشة لم يكن معهم من الغنائم ما يستحق إرسال الخمس منه خصوصا الرقيق والخيل لأنهم" لم يحضروا معهم إلا رقيق الخدمة فقط وجميعه مستقبح لا يستحق إرساله لصوب السيادة" أما رقيقهم الجيد فقد تركوه بجهات دمبيا, وقد طلب عبد الله وركني شيخ دمبيا إرسال نجدة إليه ليسلمها ما لديه من غنائم الحبش قبل أن يستأثر بها رأس عدار.[28]

التغنيم في عهد الخليفة:_

توسع مفهوم الغنيمة في عهد الخليفة عبد الله التعايشي وتعددت أنواعها فشملت الأموال المصادرة من المعارضين للنظام وهو ما يعرف بالتغنيم فانتقلت الغنيمة من عقوبة دينية لتصبح عقوبة سياسية, ووصلت حالة التغنيم إلى عشرين حالة, وعندما انتهت الحروب ضد الحكم الأجنبي, أصبحت الحروب ضد القبائل المعارضة في الداخل من أهم مصادر الغنيمة, ويبدو أن التغنيم قد انفلت أمره وأصبح عشوائيا مما جعل الخليفة يصدر أمرا قاطعا قال فيه: "لا يجري من احد تغنيم احد إلا بأمرنا أو من عامل الجهة..... ولا يفعلوا شيئا لا كثيرا ولا قليلا إلا بعلمنا ولو ابره وعندما يعلم بحدوث تجاوزات كان يأمر بإعادة الأموال المصادرة إلى أصاحبها,[29] ولم يقتصر التغنيم على الأموال فقد سبيت النساء الحرائر وما أصعب أن يغصب مال المرء عنوة ويهتك عرضه جهرة كما فعل الخليفة عبد التعايشي لنساء الكبابيش, ولاشك أن هذا الأمر من الأمور التي جعلت مقاومة الكبابيش للخليفة تستمر وتأخذ بعدا خارجيا استراتيجيا باتصالهم مع مصر وبريطانيا وأفادوا الجيش الغازي إفادة معنوية تتمثل في مدهم بأخبار دولة المهدية, وإفادة مادية تتمثل في إعانة حملة الإنقاذ ومدها بالجمال اللازمة للاستعانة بها في عبور الصحراء, وكذلك سبي نساء الجعلين الحرائر, واللائي اصدر الخليفة في أمرهن منشورا خاصا يوضح كيفية التوزيع عندما خاطب محمود ود احمد في أمرهن قائلا:" فالنعلمك أن النساء الحرائر واللواتي وجدتموهن مع الأعداء_ الجعلين_ واستفهمتم في أمرهن فينبغي أن تجمعوا نساء المحاربين وتخرجوا الخمس من كل قبيلة وبعد استخراج الخمس ترسلوه لصوبنا والأربعة أخماس الباقية فاليصير تفريقها على من يرغب من الأنصار معكم....."[30]

لعل تقسيم نساء الجعلين بحكم أنهن غنيمة إلى أربعة أخماس وخمس خاص للخليفة وتقسيم ما تبقى لمن يرغب من الأنصار, من أهم العوامل التي أدت إلى معركة الفاضلاب في يوليو 1897مبين حسين ودبري الجعلي وعلي فرفار التعايشي وكيل عثمان الدكيم عامل بربر, ولعل هذه المعركة من أهم العوامل التي أدت إلى هزيمة محمود ود احمد في معركة النخيلة إذ كان انشغال عثمان الدكيم بمقاومة الجعلين في

[27] المهدية والحبشة ص95
[28] المرجع السابق ص145
[29] محمد سعيد القدال, السياسة الاقتصادية للدولة المهدية, ص141
[30] محررات الخليفة مرجع سابق ص

منطقة الزيداب قد جعله يهمل تحرك الجيش الغازي جنوبا,[31] إن موقف القبائل مع الخليفة ملئ بمثل هذه الصور والعرض في المرتبة الثانية بعد الدين, مما استجوب وقوف هذه القبائل تلك الوقفة, فلم تراع الحرمات ولا الأصول وجمع الجهادية من النساء مما يزيد عما حددته الشريعة الإسلامية بحكم أنهن سبايا وأسرى حرب دون مراعاة لبرأت أرحامهن بعد غصبهن من أزواجهن الأصليين فلاشك أن الموقف عصيب واكبر من أن يدان للخليفة بالطاعة والولاء, فاشتعلت نار الفتنة, وأصبح البون شاسعا ما بين رغبة الخليفة عبد الله في انقياد تلك القبائل ورد شرفها مما اضطر تلك القبائل إلى الاستنجاد بالقوة الخارجية كما فعل الكبابيش وكما فعل عبد الله ود سعد زعيم الجعلين تحسبا واحتياطا لمواجهة محمود ود احمد وربما يعتقد البعض بان بيت المال قد أصبح ممتلئا بهذه الغنائم لكن وبكل أسف وبعد المراجعة المالية لبيت مال العموم_ بيت مال المسلمين في أم درمان_ لم يصل إلا النزر اليسير, وتفرقت هذه الغنائم بأيدي الجهادية, أما التغنيم فلم يكن معروفا أصلا في الإسلام بالمعنى الذي استحدثته المهدية, ولم يكن له ما يسنده شرعا وهو أسلوب يطبق على المؤمن بالمهدية ودعوتها, العاصي والممتنع عن تنفيذ أوامرها وتوجهاتها, خاصة فيما يتعلق بأمر الجهاد في سبيل الله والتغنيم اصطلاحا يعني استيلاء على جميع ممتلكات المخالف أو المعارض ماعدا الزوجة,[32] أصبح مفهوم التغنيم أداة طيعة يستخدمها الخليفة وعماله في تذليل كل الصعاب التي تواجههم, فقد استخدم في كسر شوكة بعض الشخصيات ذات الوزن القبلي والتي يمكن أن يكون لها اثر في الولاء القبلي للمهدية, فقد تم تغنيم الياس باشا أم برير وابنه عمر على يد عثمان ادم,[33] والحقيقة أن الخليفة كان يهدف من التغنيم في مثل هذه الحالة بالذات إلى سلب مقومات المعارضة من مال وجاه من الشخص المعارض وكانت فكرة الخليفة عن أصحاب الزعامة الرئاسة القدامى رغم إذعانهم للحكومة المهدية, أنهم يمثلون معارضة السلطة إذا ما توفرت لهم الظروف السياسية المناسبة" ..... من لم يأت إلى الله طوعا لابد أن يرجع إلى الله كرها, ومعلوم لديك أن بعض الناس لم يدخلوا في هذا الدين إلا بعد أن أعيتهم الحيل ولم يجدوا مهربا وهم وان صلح حالهم في الظاهر نظرا لما كانوا عليه من الرئاسة والجاه الذي فقدوه في المهدية مع كثير من مشتهياتهم النفسية لا تخلوا بطونهم من الميل والانحراف على المهدية أن وجدوا لذلك مندوحة....."[34] فكر الخليفة عبد الله خلال حكم عثمان ادم للغرب في اللجوء لسياسة تؤدي إلى تقليل قوة قبائل البقارة المتمردة أو إضعافها وأدى القضاء على مادبو بعد ثورته إلى إزاحة خطر شيوخ القبائل الكبار وبناء عليه استقرت سياسة الخليفة عبد الله على أسس ثلاثة, الإطاحة بشيوخ القبائل الوارثين التقليديين, وتهجير القبائل المشكوك في ولائها للمهدية إلى ام درمان, واستغلال الخلافات القديمة بين القبائل لإضعافها, وكان المظهر الأخير لتلك السياسة هو اللجوء إلى طريقة فعالة واقتصادية لإخضاع القبائل أي بالعودة إلى الأساليب القديمة التي كان يلجأ اليها الحكم المصري مما كان يناقض أخلاقيات المهدية(على أن هذه السياسة قد نفذت في حياة المهدي ضد الحوازمة الذين أعلن أنهم قد نقضوا ميثاقهم مع المهدي ربما لانهم لم يشتركوا في الجهاد ضد الخرطوم) ويمكن أن نجد مثالا لاستبدال الشخص الذي الخليفة عبد الله بالسلطات القبلية المقررة في منشور للمسيرية جاء فيه(..... بدافع حبنا وعطفنا عليكم كتبنا لكم المنشورات لكي تجيبوا داعي الله وتهاجروا في معية إبراهيم صابون الذي جاءكم من عندنا لهذا الغرض..... ويجب عليكم إلا تنصتوا

[31] اثر السياسة الاقتصادية ص242
[32] المرجع السابق ص336-337
[33] محررات الخليفة مرجع سابق
[34] محررات الخليفة مرجع سابق

للزعماء المذنبين ..... والشيوخ الذين سيطروا عليكم في عهد الترك لكي يجمعوا الضرائب ....لو اتبعتم كلماتهم سيوقع بكم دون شك عقاب شديد في هذه الدنيا والآخرة فسوف تخرب أرضكم وتسئ نسائكم وتنهب ثرواتكم ويسبى بنوكم لان يد المهدية مبسوطة فوقكم أما عن معارضة زعمائكم المشار إليهم للدين وفشلهم في إتباع المهدية فقد قررنا عزلهم واتخذنا من الرجل المحترم إبراهيم صابون عاملا على جميع المسيرية[35] كذلك درج عمال الخليفة على استغلال المفهوم وتفسيره بما يتفق ورغبتهم في إزالة كل العقبات التي قد تحول دون تنفيذ أوامرهم فقد استغل عثمان الدكيم هذا المفهوم في إطار سياسته الرامية من التمكين من السيطرة على قادة الجعلين الذين لهم الأثر في توجيه رأي القبائل الجعلية ضد سلطته, وقد فسر بعض العمال هذا المفهوم تفسيرا يمكنهم من تنفيذ الضغائن والأحقاد التي سادت بين أولاد البلد وأولاد العرب مثل يونس ود الدكيم الذي أطلق لقادته وأرقاه العنان لجمع المال بغض النظر عن الطرق التي يتبعونها في ذلك,[36] وقد مفهوم التجريد للمرة الأولى في خطاب أرسله المهدي لمحمد خير عبد الله خوجلي في أمر غنائم بربر في أول محاولة للتمشي في تقسيم الغنيمة وفق ما نصت عليه الآية الكريمة, ويعني المهدي بالتجريد هنا أن يسترد كل ما حصل عليه الأمراء من الغنائم ويدرج من ضمن ممتلكات بيت المال , ثم أصبح فيما بعد يعني درجة من درجات العقوبة بأخذ جزء من مال الشخص, وبهذا فهو يندرج في سلك العقوبات قال المهدي: " ..... وأما شرب الخمر واستعمال التمباك فضرب مائتي سوط وان لم يرتدع حبس وزجر وان لم يرتدع كذلك لا مانع من تأديبه بأخذ بعض من ماله فان لم يرتدع لابد من تغنيمه زجرا له وعبرة لغيره...."[37] ونجد في بعض الأحيان أن مفهوم التغنيم والتجريد يستخدمان لمهمة واحدة كقول الخليفة عبد الله: " بان من يتأخر لحين وصول الحبيب عثمان ادم بكردفان فيكون غنيمة, والى ألان لا كان يحضروا فلا مانع من إدخال أموالهم التي صدتهم عن طريق الله ورسوله ومهديه لبيت المال وتجريدهم عنها ليقبلوا على الله لصلاح أخرتهم....."[38] كما استخدم المهدي مفهوم الضبط مرة واحدة, وقصد به الحصول على ما فر به المجاهدين من الغنيمة " ..... أما الجماعة الذين ذكرتهم أنهم متخلفين عن الحصار ومغرين المحاصرين, ومجتمعين للنهوض بأطراف الحبشة وقصد الغنيمة لا قصد نصرة الدين فهؤلاء أسوتهم أسوة أما ..... فليصير ضبطهم أن تيسر الحصول عليهم وزجرهم عن فعلهم هذا واخذ كل ما اغتنموه وإدخاله بيت المال ليعتبر بذلك غيرهم,[39] لقد أصبح مفهوم الضبط عند الخليفة عبد الله مرادفا لمفهوم التغنيم ويدرجان في حسابات بين المال في تصنيف واحد, بحيث أن الشيء المضبوط يصبح من ممتلكات بيت المال عقوبة لصاحبه, حكم التغنيم هي عقوبة تطبق على غير المؤمن بالمهدية العاصي لأوامرها وفي خطاب الخليفة لعلي منير نلمس ذلك " ..... ورد لنا منهم جواب يذكر أنهم ضبطوا مقدار سبعة وعشرين مراح ابل تعلق بني جرار....."[40] غير أن عائدات التجريد كانت تصنف في واردات بيت مال العموم باعتبارها مصدرا قائما بذاته ونخلص من ذلك إلى أنها استخدمت لغرضين أساسيين:

[35] المهدية في السودان, ب.م. هولت مرجع سابق ص175
[36] المرجع السابق ص
[37] منشورات المهدية ج3 الأحكام ص
[38] محررات الخليفة مرجع سابق ص
[39] منشورات المهدية مرجع سابق ص264
[40] محررات الخليفة عبد الله مرجع سابق ص

أولا: غرض سياسي وهو وضع الشخصيات ذو المكانة والجاه والتي يخشى أن تثير الناس ضد المهدية وجعلهم في وضع مذر لا يمكنهم من استغلال أموالهم وممتلكاتهم في تحريك النفوذ القبلي ضد السلطة.

ثانيا: غرض مادي ويتمثل في حاجة دولة المهدية الماسة لزيادة مصادر دخل بيت المال, آنا كان مصدرها لا سيما أن هذه المفاهيم قد أخذت مكانتها بعد القضاء على حروب المقاومة التي كانت تمثل مصدرا مهما من مصادر بيت المال عليه فان تركيز السلطة السياسية في المهدية على هذه المفاهيم وتطويعها وفق ما تحتاج إليه من أساليب الاستنزاف والقهر قد جعل كثيرا من الناس يعيدون حساباتهم في المهدية كحكم إسلامي بل وأصبحت المهدية في نظر العامة تمثل الظلم والعدوان والقهر والكبت تحت المسميات الإسلامية ولهذا أصبح الناس في تشوق إلى الخلاص من هذا الحكم بغض النظر عن نوع الوسيلة المؤدية إلى ذلك, فإذا ما نظرنا إلى انعكاسات المظالم الناتجة عن هذه المفاهيم فإننا ندرك الأثر الكبير الذي أسهمت به في سقوط دولة المهدية وثراء القادة في المهدية,[41] في خلافة الخليفة عبد الله ارتفعت مكانة العمال بمستوى ارتفاع حصولهم على الغنائم حتى جمع بعضهم من الثروة شيئا عظيما ومن النساء والخدم والسراري(المحظيات) ما لا يحصى فهذا أبو قرجة يوضح للخليفة في إحدى خطاباته أن كثرة أملاكه ومهماته أصبحت تحول بينه وبين الحركة وهذا الزاكي طمل يوضح في خطاب كتبه للخليفة يقول: " ..... وانه لدى حضورنا هنا قد صار التخفيف من الدنيا المعطلة وصار تجريد نحو المائة اثنين وعشرون, منهم اثنين وأربعون سراري(محظيات) والثمانون خديم(خدم) والغالب منهن لائقات للسراري, إلا النزر القليل للخدمة, وما هو المتجرد من عبدكم خاصة واحد وخمسون بما فيهن ثلاثة عشر سرية....." وهذا كرم الكركساوي يتبرع لبيت المال بعشرين فرخا " رأس رقيق" بحريماتهم " أي نسائهم" إلى بيت المال أملا في الحصول على البيعة من الخليفة عبد الله,[42] وان أصل السراري من النساء المسترقات من القبائل المسلمة أصلا المعارضة للمهدية, ولقد كان لوجودهن بهذه الصفة في بيوت الأمراء اكبر الأثر في حمل القبائل على معارضة المهدية, معارضة قادة إلى سقوط دولة المهدية من الداخل.

وإذا نظرنا إلى هذا المنشور من المهدي الذي جاء فيه(..... وقد اخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم واخبر جميع أهل الكشف بان من شك في مهديتنا وأنكر وخالف فهو كافر, ودمه هدر, وماله غنيمة فحاربناهم لأجل ذلك وقتلناهم وبعد ذلك لما انقاد باقيهم لحكمنا رجعنا لهم جميع أمتعتهم التي بأيدي أصحابنا رفقا بهم مع أنهم حلال لنا.

بلغ الخليفة أن الشيخ المرضي أبو روف شيخ مشايخ عربان جهينة عصا وقصده يعدي البحر الأزرق ويدخل بلاد الحبش, اصدر أمره إلى حمدان أبو عنجة بمحاربة المذكور ومن بعدها يتوجه إلى القلابات ومن الضمن تعين احمد ألنخيلي وأخينا إسماعيل ومعه اسحق توجهوا قبل وصول جيش حمدان أبو عنجة وملكوا الرصيرص لأجل ما يقدر يعدي الشيخ المرضي أبو روف وحمدان أبو عنجة أسرع بالجيوش قبل جهينة ما تعدي البحر ودار فيهم الحرب وقتلوهم اشر قتلة واحضروا منهم الغنائم الإبل ليس لها عدد والرقيق ذكور وإناث شيء كثير كونه جهينة غنية عربان رحل بداخل الجزيرة ومن كثرة الغنائم حمدان أبو عنجة ترك الشيخ إسماعيل الأمين بدار جهينة وأرسل إلى أم درمان للسيد يعقوب بإرسال كتاب من الراية الزرقاء لأجل حصر الغنائم من كثرة الإبل صار الجمل بعشرة قروش, فقتل أبو روف وخربت

[41] عبد الغفار مرجع سابق ص 241
[42] المرجع السابق ص247

ديارهم وحضروا كافة جهينة بعائلاتهم إلى أم درمان ومن كثرة جمال جهينة صاروا يصرفوا فيهم الرايات أما الرقيق أغلبة أخذه السيد يعقوب وجعل عليهم ريس منهم وفيهم اسمه الرضي سعد ألان صار عمدة جهينة في سنجه وأيضا الأمير يعقوب عمل بادية من هذه الجمال وصار في نعمة كبيرة ووسع الدايرة كونه أخيه ملك البلاد وصار مسئول من تنظيم المملكة وجمع المال والرجال والسلاح والخيول, وبعد قتلة جهينة صار قتل الكبابيش الشيخ صالح ود فضل الله والتوم أخيه وخربوا ديارهم وبقتل الشيخ صالح وأخيه صارت عموم الكبابيش غنيمة واحضروا منهم أموال جسيمة والإبل شيء لا يحصى وهلكوا أشرافهم وصاروا جميعهم غنيمة واحضروا عموم عربانهم وبعد ذلك عفا عنهم الخليفة بعد دخول الأموال غنيمة في بيت المال وجعل عليهم الأمير الكبير عوض السيد ود قريش وتحته عشرة أمراء من الكبابيش, عين الخليفة يونس ود الدكيم لأجل قتال قبيلة سليم والجمع وتوجه لهم المذكور ومعهم جهادية وأنصار أولاد عرب سرية كبيرة حيث انه من أقارب الخليفة وله مكانه عظيمة وتوجه بجيش كبير وقتل سليم والجمع واحضر منهم الغنائم والأبقار والرقيق وحضر المذكور في ود العباس وأعطى خبر للخليفة بحضوره في ود العباس عند ذلك كان خليفة المهدي عفا عن عبد القادر سلاطين وجعله من الملازمية المقربين عينه يتوجه إلى ود العباس لأجل ضبط يونس الدكيم وعرف عبد القادر سلاطين بان يأخذ يونس الدكيم باللين ويحضر الغنائم الموجودة عنده بموجب كشف وأرسله بالبابور الطاهرة وأعطاه كاتب وبعضا من الجهادية وأولاد العرب يكونوا معه وقد توجه عبد القادر سلاطين وقابل ود الدكيم سلموه الأمر الصادر من الخليفة بظبط الغنائم واخذ الأمر وامتثل لذلك وأكرم عبد القادر سلاطين غاية الإكرام واحضر منه الكشف بحصر الغنائم وصار عبد القادر سلاطين محبوبا عند الخليفة بعد ما كان مسجونا في الساير بمكية اسمها الحاجة فاطمة صار في نعمة كبيرة وملازم عند الخليفة[43], وكان تفضيل أفراد القبائل المنتمية إلى الخليفة عبد الله عن جميع القبائل الأخرى في جميع الأحوال والظروف, فإنهم لا يتمتعون بأسمى الوظائف الحكومية والمراتب الشعبية فحسب, بل يتمتعون بما هو أسمى من ذلك ماديا, فان القسم الأكبر من الأموال والغنائم التي ترد إلى بيت المال من مديريات دارفور والقلابات والرجاف يصل إلى أيدي أولئك الأفراد ولا يجد من يحاسبهم عليه, ومن غريب أمر أولئك الطامعين أنهم رغبة في ملء جيوبهم بأكبر قيمة من المال دعوا الخليفة إلى فرض ضريبة خاصة على الخيول, غير مبال بالشكوى العامة من جانب السكان الأصلين, فلا ريب إذن في حصول فرقته على نصيب الأسد من الغنيمة[44]

نتائج الدراسة:_

1- تفسير الإمام المهدي للغنائم باعتبار أن كل من يكفر بالمهدية فماله غنيمة.
2- اهتمام الإمام المهدي بالغنائم لأنها كانت من مصادر الدخل بالنسبة للثورة المهدية.
3- اهتمام المهدي بتوضيح أمر الغنائم لأنه أحس بخطرها على الثورة منذ الأيام الأولى.
4- توزيع الإمام المهدي للغنائم كان للمجاهدين المحتاجين وكان هذا يتطلب درجة عالية من نكران الذات.

[43] مذكرات يوسف ميخائيل التركية والمهدية والحكم الثنائي في السودان تقديم وتحقيق د. احمد ابراهيم ابو شوك, مركز عبد الكريم ميرغني, امد درمان 2004م ص 136 .

[44] محمد مالك محجوب

5- انتشار الغلول من الغنائم والهروب بها من ارض المعارك مما جعل الإمام المهدي يصدر المنشورات ويحذر الذين يغلون من الغنائم بالعذاب يوم القيامة,
6- التغنيم كان في أيام المهدي عبارة عن غرامة مالية تؤخذ كعقوبة إلا أنها في عهد الخليفة أصبحت عبارة عن غنائم مما ألب عليه القبائل.
7- صارت النساء الحرائر من القبائل التي تعارض الخليفة عبارة عن غنائم توزع على المجاهدين وتباع في الأسواق مما دفع بهذه القبائل إلى التعامل مع أعداء الثورة.
8- التكالب على الغنائم وعملية التغنيم أدت إلى التنافس بين القادة مما دفعهم للوشاية فيما بينهم للخليفة وهذه الوشايات أفقدت الثورة كثير من القادة الذين تم إعدامهم.
9- استخدام التغنيم كمهدد لتحجيم دور الشخصيات ذات المكانة الاجتماعية من تأليب الناس ضد الثورة.

10-استخدام التغنيم مصدر لزيادة دخل الثورة .

توصيات الدراسة:_

1_ دراسة بيت المال في المهدية وأثره على الثورة.

2_ دراسة أثار الحروب الداخلية على الثورة المهدية.

3_ دراسة النواحي الاجتماعية والقانونية من خلال منشورات الإمام المهدي ومحررات الخليفة عبد الله التعايشي.

المراجع والمصادر:-

1-محمد سعيد القدال, المهدية والحبشة دراسة في السياسة الداخلية والخارجية لدولة المهدية الفترة كمن 1881- 1898م دار الجيل بيروت, ط1, 1992م.

2- محمد سعيد القدال, تاريخ السودان الحديث الفترة من-

3- محمد سعيد القدال, السياسة الاقتصادية للدولة المهدية, دار الجيل بيروت, ب.ت

4-محمد إبراهيم أبو سليم, منشورات المهدية, دار الجيل بيروت, 1979م.

5- محمد إبراهيم أبو سليم, محررات الخليفة عبد الله

6- مكي شبيكة, السودان والثورة المهدية ج2 من موقعة أبا إلى حصار الخرطوم, دار جامعة الخرطوم للنشر ط1 1979م.

7- عبد الغفار محمد علي, أثر العوامل السياسية والاقتصادية في سقوط دولة المهدية في الفترة من 1881م- 1898م, الدار العالمية للنشر والتوزيع, ط1 2017م.

8- بدر الدين حامد الهاشمي, المهدية بأقلام غربية, دار المصورات للنشر, الخرطوم.

9_ محمد محجوب مالك, المقاومة الداخلية للحركة المهدية من 1881م_ 1898م دار الجيل بيروت, 1987م